الأستاذ إبراهيم حجاج

منازلُ أهلي

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازلِ أهلي
و رَجَّعَ سربًا من الذكريات
تُحوِّمُ مثل الحساسين حولي
أبي في المضافة
والقهوة البِكرُ مع طلعة الفجر عابقةٌ بالمحبة
و صوت أبي الرحبُ يملأُ قلبي طمأنينة
وهو يضرع لله حين يُصلي

*****

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازلِ أهلي
وَرَدَّ المَمَرَّ العتيقَ إلى بيتنا و السّياج
ورائحة الخبز مُبتلّةٌ بحليب النّعاج
ونافذةٌ هي كلُّ الطفولة
و نفرحُ , حين يكون أبي عند بوابة الدّار
مُنشغِلًا عن شقاوتنا
و يُرحِّبُ بالجار في غِبطةٍ و يُهَلّي
هكذا يا أبي كل شيءٍ تلاشى
ولم يبقَ من فَرَحِ العمر إلا الصُّور
الممرُّ العتيق يحِنُّ لِوقْعِ خُطاكَ
وقد جفَّ بَعدك عشب الممرّ

ونافذةٌ كُلّما جِئتُ أسألها عنكَ
ألفيتُها لا تُجيبُ
و تجهش قبلي

*****

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازِلِ أهلي
كُلّما دَندَنَ العودُ أيْقَظ فيَّ تعاليلهم بعد طولِ رُقود
و ذرذرها في ضميري
و عادَ أبي وهو يَفرُشُ قريتنا هيْبةً
وإخوتُهُ من حواليْهِ سِربُ صقور
وجوهٌ إذا عَتَّمَ العُمرُ طلّوا
على عَتَمةِ العمر مثل البدور
منازلهم
عندَ سفحِ الكلام مُشَرَّعةٌ للنَّدى و الضُّيوف
وقوفًا بها يا خليليَّ إنّي
تَوَجَّدتُها فأطيلا الوقوف
وقد عَمَروا بالمحبّة جُدرانها
و أضاؤوا مداخلها العاليات و علّوا السقوف

حبيب الزيودي

الشرح

المقطع الأول :

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازِلِ أهلي

و رَجَّعَ سربًا من الذكريات

تُحوِّمُ مثل الحساسين حولي

أبي في المضافة

والقهوة البِكرُ مع طلعة الفجر عابقةٌ بالمحبة

و صوت أبي الرحبُ يملأُ قلبي طمأنينة

وهو يضرع لله حين يُصلي

دندن : أصدر صوتًا خافتًا

سربا : مجموعة من الطيور

تحوم : تدور

الحساسين : جمع حسون / نوع من الطيور

القهوة البكر : قهوة الصباح

عابقة : ممتلئة

الرحب : الجميل

يضرع : يتوسل

يتحدث الشاعر في هذه القصيدة عن ذكرياته , فيقول أن لصوت العود الرنان أثر في استرجاع ذكرياته , هذه الذكريات التي شبهها بالسرب من الحساسين .

بداية هذه الذكريات كانت مع الأب في قول الشاعر :

أبي في المضافة

وفي هذا دلالة على تعلق الشاعر بوالده , ثم نراه يتحدث عن قهوة الصباح المخلوطة بالمحبة .

ويختم المقطع الأول بحديثه عن والده مجددا , فيسترجع ذلك الصوت الذي يبعث الطمأنينة في قلبه , إنه صوت والده عند الصلاة ومناجاة الله عز وجل .

الصور الفنية :

و رَجَّعَ سربًا من الذكريات

تُحوِّمُ مثل الحساسين حولي

شبه الذكريات بالسرب من الطيور التي تحوّم حوله .

المقطع الثاني :

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازِلِ أهلي

وَرَدَّ المَمَرَّ العتيقَ إلى بيتنا و السّياج

ورائحة الخبز مُبتلّةٌ بحليب النِّعاج

ونافذةٌ هي كلُّ الطفولة

و نفرحُ , حين يكون أبي عند بوابة الدّار

مُنشغِلًا عن شقاوتنا

و يُرحِّبُ بالجار في غِبطةٍ و يُهَلّي

هكذا يا أبي كل شيءٍ تلاشى

ولم يبقَ من فَرَحِ العمر إلا الصُّور

الممرُّ العتيق يحِنُّ لِوقْعِ خُطاكَ
وقد جفَّ بَعدك عشب الممرّ
ونافذةٌ كُلّما جِئتُ أسألها عنكَ
ألفيتُها لا تُجيبُ
و تجهش قبلي

العتيق : القديم
غبطة : سعادة
يَهلّي : يُرحّب
تلاشى : اختفى
وَقْع : صوت
ألفيتها : وجدتُها
تجهش : تبكي بصوت عالٍ

تعود الذكريات من جديد مع صوت العود , فنراه يسترجع ذكريات ذلك المكان , يتذكر الممر القديم و البيت و السياج و رائحة الخبز و النافذة التي تعتبر رمز الطفولة .

ثم يتحدث الشاعر عن لحظات الفرح المتمثلة بانشغال الأب عن شقاوة الأطفال بترحيبه بالجار في سعادة و سرور .

ثم ينتقل الشاعر إلى مرحلة أخرى من الذكريات , فيتحدث عن ذكرياته بعد وفاة والده , فيقول :

إن الفرح قد اختفى من حياتي , فلا فرح إلا بالصور , حتى الممر اشتاق لصوت خطاك , و العشب قد جفّ بعد رحيلك , أما النافذة فكلما سألتها عنك , جدتها صامتة لا تُجيب .

(يُريد الشاعر أن يُخبرنا أنه بموت والده أصبح المكان ساكنا صامتا لا حياة فيه)

الصور الفنية :

الممرُّ العتيق يحِنُّ لِوقْعِ خُطاكَ

شبه الممر بإنسان يحن و يشتاق .

ونافذةٌ كُلّما جِئتُ أسألها عنكَ

ألفيتُها لا تُجيبُ

و تجهش قبلي

شبه النافذة بامرأة تبكي .

المقطع الثالث :

كُلّما دَندَنَ العودُ رَجَّعَني لِمَنازِلِ أهلي

كُلّما دَندَنَ العودُ أيْقَظ فيَّ تعاليلهم بعد طولِ رُقود

و ذرذرها في ضميري

و عادَ أبي وهو يَفرُشُ قريتنا هيْبةً

وإخوتُهُ من حواليْهِ سِربُ صقور

وجوهٌ إذا عَتَّمَ العُمرُ طلّوا

على عَتمةِ العمر مثل البدور

منازلهم

عندَ سفحِ الكلام مُشَرَّعةٌ للنَّدى و الضُّيوف

وقوفًا بها يا خليليَّ إنّي

تَوَجَّدتُها فأطيلا الوقوف

وقد عَمَروا بالمحبّة جُدرانها

و أضاؤوا مداخلها العاليات و علّوا السقوف

تعاليل : سهرات

ذرذرها : نثرها

عتّم : أظلم

مشرّعة : مُفتّحة

الندى : الكرم

توجدتها : أحببتها

هنا يسترجع الشاعر مع صوت العود مجالس الأهل في ليالي السمر , ويتذكر هيبة والده في القرية , وكيف كان إخوته (أعمام الشاعر) يلتفون حوله (أي والد الشاعر) مثل الصقور , ثم يصف وجوههم النيرة كالبدور , ومنازلهم المفتحة للضيوف .

ويطلب الشاعر من صاحبيه إطالة الوقوف على هذه المنازل التي عُمّرت جدرانها بالمحبة .

وهنا نراه يتأثر بالشعر الجاهلي , كما في قول الشاعر :

قفا نبك من ذِكرى حبيب ومنزل
بسِقطِ اللِّوى بينَ الدَّخول فحَوْملِ

الصور الفنية :

وعادَ أبي وهو يَفرُشُ قريتنا هيْبةً

شبه الهيبة بالشيء الذي يُفرَش .

وإخوتُهُ من حواليْهِ سِربُ صقور

شبه الشاعر أعمامه بالصقور .

وجوهٌ إذا عَتَّمَ العُمرُ طلّوا
على عَتَمةِ العمر مثل البدور

شبه الشاعر وجوه أعمامه بالبدور .

وقد عَمَروا بالمحبّة جُدرانها

شبه المحبة بمادة البناء .

الأستاذ إبراهيم حجاج